هناك من يتمتع بكافة هذه الصفات مجتمعة.

واذا لم يكن لدينا حتى الآن «ابو صهيون» يقوم بتنفيذ المهام التي يفترض ان تكون من اختصاصه، فينبغي، على الاقل، ايجاد هيئة او جهة او دائرة او «عنوان» ما يقوم بذلك، وبدون ابطاء، نظرا لما لهذه المسألة من اهمية. فمع ضرورة تصعيد الكفاح المسلح ضد المحتل الصهيوني، وهو دون شك شرط اساسي لا بد من توفره بكل مضامينه اذا كانت هنالك نية لايجاد حل ما للقضية الفلسطينية يعيد للفلسطينيين ولو بعض حقوقهم، لا بد ايضا، في الوقت نفسه، وبالمدى ذاته، من ممارسة العمل السياسي تجاه الكيان الصهيوني والقوى المختلفة الناشطة داخله، والافادة من المتغيرات التي تفرزها التفاعلات والتوترات المختلفة داخل ذلك الكيان. وبتعبير آخر، وكما تطور نشاط الحركة الفلسطينية خلال العشرين عاما المنصرمة من عمل فدائي سري محصور داخل منطقة معينة الى آخر عسكري ـ سياسي شامل لف تدريجيا العالم باسره، ينبغي ان يتطور ايضا بالشكل نفسه تجاه اسرائيل، فيشمل كافة المجالات المهمة، عسكرية كانت ام سياسية ام غير ذلك، سوية وبالمدى نفسه.

والحقيقة هي انه لا بد من التنويه ان «تقدما» ما طرأ، مع مرور الوقت، على النشاط الفلسطيني في هذا الصدد. ففي البداية تميز الموقف الفلسطيني عامة، تحت تأثير المواقف والآراء التي كانت سائدة في العالم العربي آنذاك، بشجب كل ما له علاقة باسرائيل او يمت بصلة اليها، باعتبارها كتلة واحدة متماسكة من الشرور والسلبيات والاخطار، وبالتالي لا تعامل معها الا عن طريق البندقية. الا ان هذا الموقف راح يتغير تدريجيا اثر «الاكتشافات» التي توصل اليها النشيطون الفلسطينيون بالنسبة لاسرائيل. فقد «اكتشف» اولئك، اولا، ان هنالك فلسطينيين عربا مثلهم لايزالون يعيشون داخل اسرائيل، في المنطقة المحتلة منذ العام ١٩٤٨، ولهم نشاطهم الخاص بهم. ثم «اكتشفوا» ان هنالك احزابا في اسرائيل، ذات اتجاهات مختلفة بينها حتى حزب شيوعي. كذلك «اكتشفوا» ان هنالك، مثلا، يهودا شرقيين وآخرين غربيين، ويوجد تمييز فيما بينهم، الخ. ومع تجمع هذه «الاكتشافات» وتوفر «المعلومات» عنها، وان كانت بدائية وضحلة وهامشية، تغير الموقف الفلسطيني من لا ـ مبالاة الى اهتمام زائد، جر العديد من المفارقات المضحكة، الشبيهة بتلك الناجمة عن تعرف ذلك الاعرابي الذي قضى جل عمره في الصحراء الى ان قدر له يوما ان يدخل المدينة، فبهرته بكل ما فيها وحار في تصرفاته. فبعد ان وُجد من المناسب العمل في المجال السياسي ايضا، تشرذم الفلسطينيون وتحزّبوا، ونشأت بينهم ـ كالعادة ـ تيارات لكل منها «ابطالها» داخل الكيان الصهيوني. فمنهم من اعتقدوا، مثلا، وان كانوا من ذوي خلفيات مختلفة، انه لا يجوز التعامل الا مع راكاح، اي الحزب الشيوعي الاسرائيلي، وآخرون رأوا الحكمة في التعامل مع حركة السلام الآن، وبعضهم اعتبر القائمة التقدمية باب الخلاص، وغيرهم رأى ان يذهب الى ابعد من ذلك فحاول الاتصال بهذا وذاك.

ولا حاجة الى التنويه كثيرا بان مثل هذه المواقف هي ساذجة وخاطئة من اساسها. فالقضية الفلسطينية، في مراحلها الحالية، هي اخطر واعقد واشمل واعمق من ان تجد حلا لها بواسطة تعامل هذه الجهة، او ان شئتم الشرذمة من بين الفلسطينيين مع تلك الموازية لها، او المقربة منها، بين الاسرائيليين. كذلك يبدو انه من الخطأ حتى السماح لهذه الجهة او تلك، خارج اسرائيل أو داخلها، بخلق انطباع خاطىء كأنها هي، دون غيرها، «وكيلة» الفلسطينيين او «ممثلهم» داخل الكيان الصهيوني. فليس هنالك جهة واحدة ووحيدة، مهما كبرت او ضخمت نفسها، قادرة على